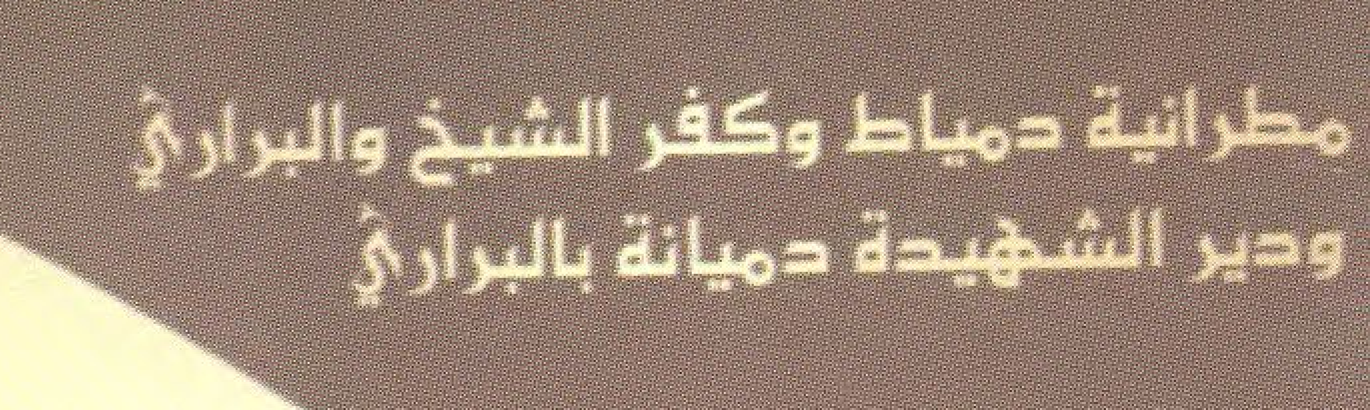
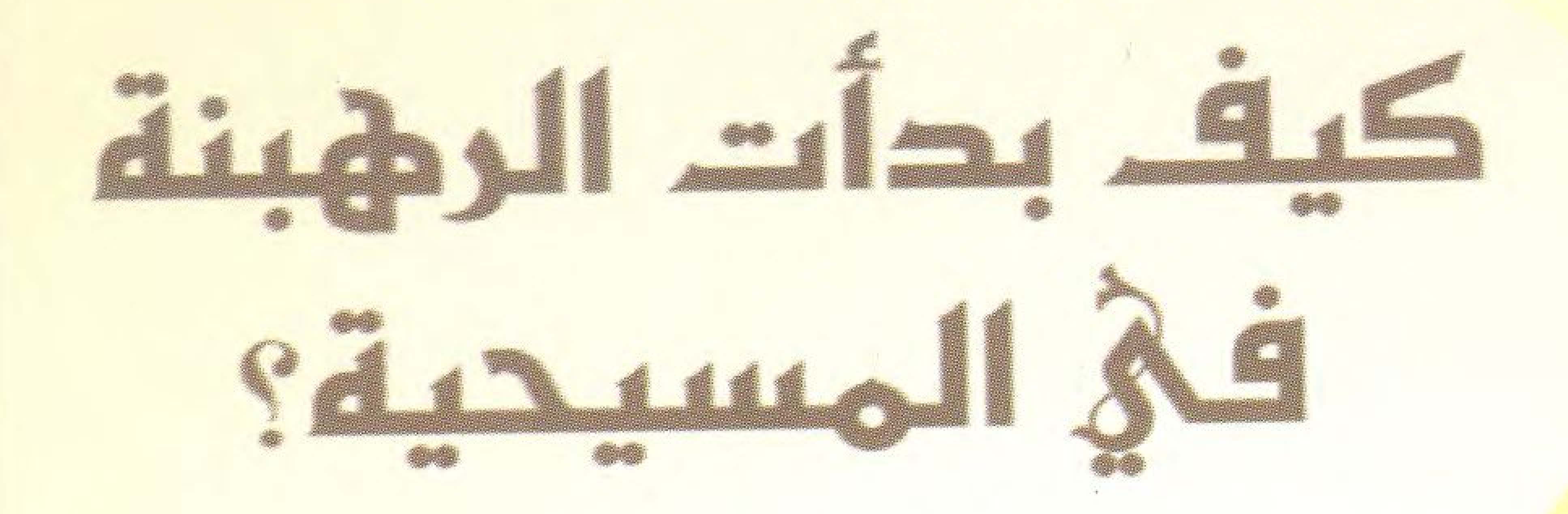




بقلم
الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانة

✠ مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ودير الشهيدة دميانة

كيف بدأت الرهبنة فى المسيحية

بقلم الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة

الكتاب: كيف بدأت الرهبنة فى المسيحية

المؤلف:الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى ورئيس دير القديسة دميانة للراهبات

الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى

الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة

الغلاف: رسم وتصميم راهبات دير القديسة دميانة

الطبعة: الأولى سبتمبر ٢٠١٠

المطبعة: بريما جرافيك للطباعة والتوريدات ٠٢٦٣٧٣١٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٠/١٧٧٣٩

يطلب من دير القديسة دميانة بالبراى، تليفونات:

٠٥٠٢٨٨٠٠٠٧، ٠٥٠٢٨٨٠٠٣٤، ٠٥٠٢٨٨٠٢١٨،

٠٥٠٢٨٨٠٦٧٩، ٠٥٠٢٨٨٠٧٦٣، ٠٥٠٢٨٨١١٤١،

٠١٨٤١١١١٣٥، ٠١٨٨٨٨١٣٣٩

فاكس: ٠٥٠٢٨٨٠٠٠٨

بريد إلكترونى: demiana8@demiana.org

يطلب أيضاً من:

مقر الدير بالقاهرة: ٠٢٢٦٨٤٧٠١٤

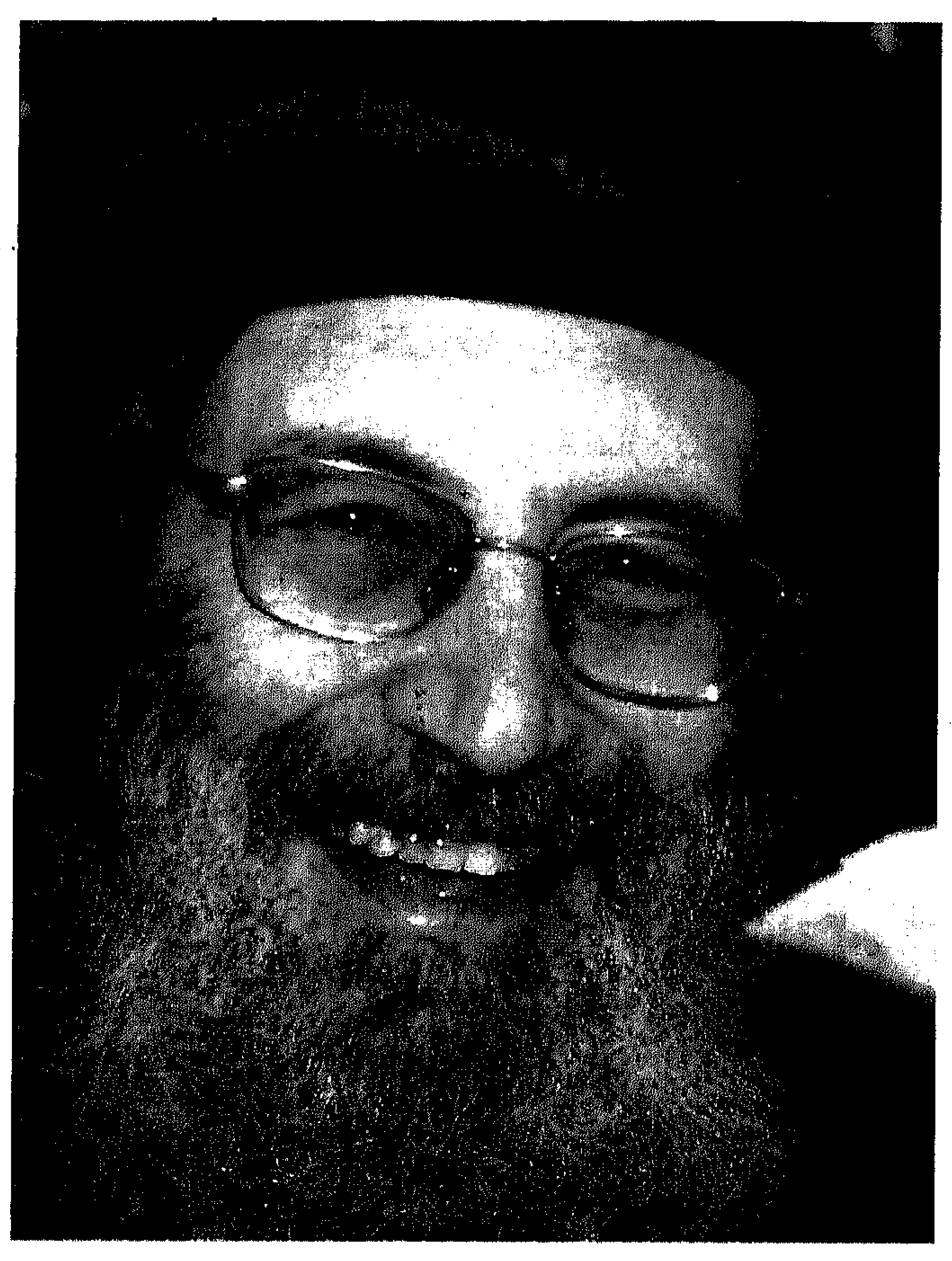
مقر الدير بالأسكندرية: ٠٣٥٥٦٩٣٨٩



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

مقدمة

يؤسفنا أن يكون هناك فى زماننا الحاضر من يقول بجسارة أن:

"*من أكبر وأخطر البدع التى عرفتها الكنيسة الأرثوذكسية هى بدعة الرهبنة التى لم تعرفها المسيحية قبل القرن الرابع وقد خرجت من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وانتقلت إلى باقى الكنائس الأرثوذكسية بل والكاثوليكية أيضاً ولم يسلم منها ومن مبادئها الهدامة وتعاليمها المضللة إلا الكنيسة البروتستانتية (الإنجيلية) التى تمسكت بتعاليم الإنجيل واتخذت منه سراجاً ونوراً لسبيلها.*"

ونفس الكاتب يضيف أن مبادئ الرهبنة مبادئ هدامة، وأنها أضرت بالكنيسة، وأن هناك تناقضاً بين الفكر الرهبانى السقيم والفكر المسيحى المستنير فى نظرة كل منهما تجاه: المرأة – العالم– الجسد – الزواج – الخلاص. وأنها تناقض تعاليم الكتاب المقدس. وأن تعاليم الرهبنة متطرفة، وسير آباء ومعلمى الرهبنة منحرفة، ومليئة بالكبت والشذوذ والأمراض النفسية وأحياناً العقلية أيضاً

ابتداءً من أنطونيوس مؤسس بدعة الرهبنة، على حد قوله!!!

يؤسفنا أنه قد جاء اليوم الذى تتعرض فيه الرهبنة لهذا النقد اللاذع، والادعاء الباطل الكاذب، والهجوم على آباء الرهبنة العظام الذين كانوا سبب بركة للكنيسة ولكل العالم.

فلينجِّ الرب كنيسته المقدسة من هذا الهراء والضلال ببركة آباء الرهبنة القديسين، وبصلوات رئيس رهبنة الكنيسة القبطية فى زماننا: **قداسة البابا شنودة الثالث**، أطال الرب حياته ومتعه بموفور الصحة والعافية.



مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة للراهبات

٢ توت ١٧٢٧

عيد استشهاد القديس يوحنا المعمدان

الرهبنة فى المسيحية

الرهبنة هى أمر كان فى قصد الله من قبل تأسيس العالم. فهناك بعض الأحداث فى العهد القديم تشير إلى أن الرهبنة سوف تكون فى يوم من الأيام هى المنهج لكثير من القديسين.

الرهبنة ظهرت بقوة مع بداية المسيحية، وظهرت بصورة منظمة، وكان لها أثر كبير فى تاريخ المسيحية، ولا زالت لها تأثيرها حتى يومنا هذا.

يوحنا المعمدان

عندما بشّر الملاك بميلاد يوحنا المعمدان، قال عنه لزكريا الكاهن أبيه "لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ

إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً" (لو ١:
١٥-١٧).

وعند ولادة يوحنا المعمدان، امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ عن الخلاص وعن السيد المسيح، ثم وجّه كلامه إلى ابنه المولود وقال "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ. بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ" (لو ١: ٧٦).

إذن تربى يوحنا المعمدان فى البرية إلى أن ظهر لشعب إسرائيل بعد بلوغه سن الثلاثين، هذا أمر لا يمكننا أن نتجاهله حينما نتحدث عن الرهبنة.

كما أن ايليا النبى الذى ارتبط اسم يوحنا المعمدان به لم يكن متزوجاً. وإيليا هذا الذى صعد إلى السماء حياً، ذهب إلى جبل سيناء، وهناك كلمه الله بعدما صام أربعين يوماً

وقال له "امْسَحْ أَلِيشَعَ بْنَ شَافَاطَ مِنْ آبَلَ مَحُولَةَ نَبِيّاً عِوَضاً عَنْكَ" (١مل١٩: ١٦)، وعرفه أنه سوف يختطف إلى السماء.

إننا نطلق على يوحنا المعمدان لقب نبى العهدين، لأن الإشارة إليه بدأت فى العهد القديم، وامتلأ من الروح القدس عند زيارة العذراء مريم وهى تحمل فى بطنها الطفل يسوع كلمة الله المتجسد. وخدم يوحنا المعمدان فى إعداد الطريق للسيد المسيح، وتشرّف بعماد السيد المسيح، وعاين حلول الروح القدس والعلامة التى أعطيت على رأس السيد المسيح، ورأى السماوات مفتوحة وسمع صوت الآب السماوى. وشهد للسيد المسيح مراراً كثيرة.

نفس الوضع بالنسبة لإيليا النبى الذى عاش فى العهد القديم، لكنه سوف يأتى على الأرض فى العهد الجديد ويشهد للسيد المسيح على جبال أورشليم، ويصير شهيداً فى مقاومته للوحش ضد المسيح، كما صار يوحنا المعمدان شهيداً للحق.

إيليا النبى عاش فى العهد القديم لكنه لا زال حياً إلى الآن (فى العهد الجديد). وسوف يأتى ليخدم فى العهد الجديد فى نهاية العالم.

لذلك سجل ملاخى النبى كلام الله قائلاً "هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ" (ملا٤: ٥).

لقد سأل التلاميذ السيد المسيح "لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ: إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا. أَرَادُوا. كَذَلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مت ١٧: ١١-١٣).

لأن الملاك المبشر قال عن يوحنا المعمدان لزكريا أبيه "وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً" (لو ١: ١٧).

وكذلك أيضاً زار إيليا الأرض على جبل التجلى فى زيارة سريعة حينما ظهر فى وجود السيد المسيح مثل يوحنا المعمدان. وتكلم مع السيد المسيح عن خروجه الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم. وقد ظهر معه موسى النبى إلا أن موسى لم يأت بالجسد إنما بالروح فقط، بينما إيليا جاء جسداً وروحاً على جبل التجلى.. كان مجرد بريق سريع..

إشراقة للرهبنة فى فجر المسيحية

هكذا كانت حياة يوحنا المعمدان إشراقة للرهبنة فى فجر المسيحية. فقد كتب فى إنجيل معلمنا لوقا البشير "كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (لو٣ : ٢، ٣).

ويذكر إنجيل معلمنا يوحنا البشير شهادة يوحنا المعمدان عن السيد المسيح بقوله "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ

الْعَالَمِ... وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يو ١: ٢٩، ٣٤).

وفى إنجيل معلمنا متى البشير أيضاً كتب "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ... وَيُوحَنَّا هَذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنّ. وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الأُرْدُنّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ" (مت٣: ١-٦).

وعبارة "**كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقوية منطقة من جلد**" تدل على أنه كان يعيش فى البرية، ولا يتقابل مع أحد يمكنه أن يحضر له ملابس. كذلك عبارة "**كان طعامه جراداً وعسلاً برياً**" تبين أنه لم يكن هناك أحد يعد ويقدم له طعاماً. فلا كان يسكن فى بيت ولا كانت له أية علاقة بالمجتمع.

إذاً عبارة "**كان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل**" تؤيدها مظاهر طعامه ولباسه لأنه عاش سنيناً طويلة فى البرية.

وفى هذه السنين التى عاشها فى البرية لم تكن له علاقة بالعالم نهائياً، ولو كانت له أية علاقة بالعالم لكان الناس قد أحضروا له لباس وطعام. وحتى بعدما بدأ يُعمّد لم يسكن فى بيت ولم يأكل من أكل الناس العاديين.

وكأنما يوحنا يردد ما قاله البابا شنودة الثالث -أطال الله حياته- فى قصيدة "غريباً عشت فى الدنيا": أسير كأننى شبح يموج لمقلة الرائى...

بمعنى أن من كان يرى يوحنا وهو يمشى فى البرية كان يظنه شبحاً أو أحد حيوانات البرية، فهو يلبس وبر الإبل وشعره طويل لأنه نذير، وكما هو معروف فإن النذير فى العهد القديم لا يقص شعره ولا يشرب خمراً أو مسكراً وهكذا قال الملاك عنه "خمراً ومسكراً لا يشرب" وهكذا قيل عن شمشون فى العهد القديم.

وغالباً عندما ظهر ليعمّد لم يعرف أحد من هو؟

ما يهمنا هنا هو أن يوحنا المعمدان حتى وهو يُعمد معمودية التوبة كان يعيش فى البرية. وهذه كانت إشراقة عجيبة للرهبنة فى فجر المسيحية.

عندما جاء السيد المسيح ليعتمد منعه يوحنا قائلاً "أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ! فَقَالَ يَسُوعُ لَهُ اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ. حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ" (مت٣: ١٤، ١٥).

السيد المسيح المثل الأعلى للبشرية

السيد المسيح نفسه لم يكن متزوجاً. إن كان هو نفسه وُلد بدون زواج فكيف يتزوج؟

هو قد تجسد من أجل أن يقدّم نفسه ذبيحة عن حياة العالم، فنسله نسل روحى كما قال إشعياء النبى "يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (أش٥٣: ١٠).

والذى يدل على أن هناك ما يدعى بالنسل الروحى، أن بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية حينما تكلم عن نسل إسرائيل قال "وَلَكِنْ لَيْسَ هَكَذَا حَتَّى إِنَّ كَلِمَةَ اللهِ قَدْ

سَقَطَتْ. لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ. وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعاً أَوْلاَدٌ. بَلْ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. أَيْ **لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً**" (رو٩: ٦-٨).

فالمقصود بعبارة "يرى نسلاً تطول أيامه" أن أولاد الله الروحيين هم هذا النسل. كما قال يوحنا الإنجيلى "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا **أَوْلاَدَ اللَّهِ** أَيِ **الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ**. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (يو١: ١٢، ١٣).

بتولية السيدة العذراء

السيد المسيح كان بتولاً. والسيدة العذراء كانت بتولاً.

لقد اختارت السيدة العذراء حياة البتولية من قبل أن تلد السيد المسيح. والدليل على أنها إختارت البتولية هو أنه عندما بشرها الملاك قائلاً "هَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ" (لو١: ٣١)، كانت هى فى ذلك الوقت

مخطوبة، فقالت "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟" (لو ١: ٣٤).

كيف يكون ردها "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً" إن كانت تنوى الزواج؟ إن كانت تنوى الزواج لفهمت منطقياً أن كلام الملاك هذا سوف يتم بعد زواجها حيث أنها مخطوبة.. لكن لم يكن الأمر كذلك... الحقيقة أن يوسف النجار كان مجرد حارس للعذراء مريم وليس زوجاً بالمعنى الكامل للزواج، وكانا متفقين على ذلك، كما أن يوسف أيضاً كان رجلاً كبيراً فى السن.

نشأة الرهبنة فى المسيحية

إذا أردنا أن نفكر كيف نشأت الرهبنة فى المسيحية، نجد أن المثل الأعلى للبشرية جميعاً رجالاً ونساء هو السيد المسيح. والمثل الأعلى للنساء والرجال أيضاً بعد السيد المسيح هى السيدة العذراء. وأعظم مواليد النساء بين الأنبياء هو يوحنا المعمدان، هذا طبعاً باستثناء السيد

المسيح لذلك قال "الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ" (لو٧: ٢٨).

إذن المجموعة التى بدأت بها المسيحية كانت تعيش حياة البتولية. فهل هذا لا يجعل الإنسان يفكر جدياً أن يتمثل بهم؟!

الأسينيون

إن ارتباط حياة يوحنا المعمدان بالبرية لم يكن بالأمر الغريب فى ذلك الزمان. لأنه يقال تاريخياً أنه كانت هناك جماعة من اليهود الأسينيون، كان جزء كبير منهم يعيش حياة تشبه حياة الرهبنة. واستمروا حتى بعد مجئ السيد المسيح إلى أن هجم تيطس الحاكم الرومانى على اليهودية والبلاد المحيطة بها فتبددت هذه الجماعة، لكنهم تركوا لنا مخطوطات الكتب المقدسة وبعض الكتب الأخرى فى مغاير قمران موضوعة فى قدور من الفخار، تم اكتشافها فى سنة ١٩٤٧م.

على أن أسلوب حياة جماعة الأسينيون لا يهمنا لأنهم لم يكونوا هم الذين كوّنوا المسيحية.

لكن الذى يهمنا هم الشخصيات التى ذكرناها: السيد المسيح والسيدة العذراء مريم ويوحنا المعمدان. هكذا يجلسون فى ملكوت السموات السيد المسيح فى الوسط وعن يمينه السيدة العذراء وعن يساره يوحنا العمدان.. تلك هى الهيئة الملكية.

السيد المسيح والبرية

لم تكن ظروف السيد المسيح مثل ظروف يوحنا المعمدان. لأنه كان يجب عليه أن ينزل إلى مصر ليحقق نبوات معينة بالنسبة لمصر ولأوثان مصر. وأيضاً كان يجب أن يذهب إلى الهيكل فى سن اثنى عشر سنة. كلها أمور تختلف عن مسار حياة يوحنا المعمدان.

كما أنه **لم يكن من الممكن أن ينعزل السيد المسيح تماماً عن المجتمع مثل يوحنا المعمدان**. إلا أنه فى أوقات كثيرة كان يخرج إلى الجبل ليصلى، كما أنه بعد المعمودية

"أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَاعَ أَخِيراً... مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (مت٤: ١، ١٧).

التجربة على الجبل وتفاصيل الثلاث تجارب تعرفنا قوة البرية، هذا يختلف عن جبل التجلى والأحداث الرائعة التى كانت فيه.

فى نهاية الأربعين يوماً فى البرية تقدّم إليه المجرب.

لماذا كان الصراع بين السيد المسيح وبين إبليس على الجبل فى البرية إذ قال الكتاب "أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ" ولم يكن فى أى مكان آخر؟!!

"أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ" وقد سجل انتصارات فى كل أنواع التجارب لحساب البشرية. لقد صام عنا، وجُرّب من أجلنا لكى يرفع رأس الإنسان باعتباره آدم الثانى.

كل هذه الأمور تعطينا فكرة عن **البرية أنها ساحة لها مدلول خاص.**

بالرغم من أن رسالة السيد المسيح نفسه وطبيعة خدمته كانت تختلف عن يوحنا المعمدان لكن البرية كان لها وجود.. وأيضاً الصوم والصلاة فى البرية.. هذا لا يمنع أن السيد المسيح صلى فى أوقات كثيرة، لكن كان للبرية مذاقها الخاص.

لقد مُسح فى نهر الأردن بالروح القدس، ألم يكن من المفروض وقد بلغ سن الثلاثين أن يبدأ خدمته مباشرةً؟ فى العهد القديم كان كل الكهنة أولاد هارون لا يمارسون الكهنوت إلا بعد سن الثلاثون. والسيد المسيح فى سن الثلاثين مُسح ملكاً وكاهناً ونبياً من الناحية الإنسانية فكان من المفروض أن يبدأ خدمته مباشرة، إلا أن الكتاب يقول "أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ" (مت٤: ١). ويقول أيضاً "وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ... وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ" (مر١: ١٣).

عندما نفكر كيف نشأت الرهبنة يجب أن نتذكر أحداثاً لها ثقل كبير جداً مسجلة فى الكتاب المقدس مثل البرية فى حياة السيد المسيح، ومثل ارتباط يوحنا المعمدان وإيليا

النبى بالبرية، وارتباط يوحنا المعمدان بإيليا النبى وصعود إيليا إلى السماء فى مركبة نارية.

لم تمر هذه الفكرة على قداسة البابا شنودة الثالث دون أن يعبّر عنها فقال فى مديحته للأنبا أنطونيوس:

أُعطيت روح إيليا، وحنة النبية،

ويوحنا ابن زكريا، بنبوت آفا أنطونيوس

إذا كان الأنبا أنطونيوس هو أبو الرهبان إلا أننا لا نستطيع أن نعتبر أنه هو بداية الرهبنة، لأن الرهبنة فى المسيحية لم تنشأ متأخراً فى القرن الثالث الميلادى، بل لها جذور ممتدة إلى العصر الرسولى أو إلى حياة السيد المسيح.

إيليا النبى لا زال يعيش الحياة الرهبانية

إيليا ويوحنا ابن زكريا هما علامتان هامتان جداً فى نشأة الرهبنة.

وكما سبق وذكرنا إذا كان الراهب هو من يبعد عن العالم ويكون غير متزوج، فإيليا يعيش هذه الحياة منذ أن كان على الأرض إلى الآن لأنه لا زال حياً. ولم يكن خروجه

من العالم هو خروج من المدن إلى البرية لكنه خروج من الكرة الأرضية كلها إلى برية من نوع آخر، برية سماوية.
ترى ما الذى يفعله هناك كل ذلك الوقت؟!! أليست هذه حياة رهبانية؟

إن إيليا يعيش حياة رهبانية على مدى آلاف السنوات.. من استطاع أن يعيش حياة رهبانية كهذه؟

وعندما يأتى ثانية إلى الأرض سوف تهتز الدنيا كلها لمجيئه، لأنه سيأتى لكى يصطدم بالوحش وجهاً لوجه. وحينئذ ينطبق عليه المثل العامى القائل {القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود}. لأن الكنيسة فى ذلك الوقت ستكون فى حالة بائسة، فالوحش سوف يضغط بعنف شديد جداً، كما أن النبى الكاذب سوف يعمل معجزات باسم الوحش.

ها نحن نرى اليوم، بكل أسف، أن الكثيرين يجرون وراء المعجزات دون تمييز. وهذا الأمر ليس بجديد.. كمثال من التاريخ ذُكر فى السنكسار فى سيرة القديس أغاثون العمودى الذى نعيد به فى يوم ١٤ توت أنه كثيراً ما أخرج شياطين من أدعياء النبوة وأدعياء المعجزات والقداسة.

لقد قيل عن الوحش وضد المسيح "**الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ فِي الْهَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ**" (٢تس٢: ٩-١٢).

أنا أتعجب كيف يجرى الناس وراء المظاهر الخارقة حتى لو كان من يعملها منحرفاً عقائدياً أو تصدر عنه تصرفات لا تدل على الروحانية الحقيقية. لقد مر علينا مثل هذه المظاهر الخادعة واكتشفنا الحقيقة وثبت أنها من خداع الشيطان، مع وجود مظاهر خارقة للطبيعة.

إن ظروف الكنيسة فى الوقت الذى سوف يأتى فيه إيليا إلى الأرض سوف تكون صعبة جداً، وسوف تكون الكنيسة مثل الغريق الذى يتعلق فى قشة. وعندئذ سيقول أنا جئت بعد آلاف السنين لكى أقول إن يسوع الناصرى هو المسيح الحقيقى، وليس هذا الذى يدّعى كذباً أنه هو

المسيح، وأمامه النبى الكاذب الذى يعمل المعجزات باسم الوحش.

ما فائدة الرهبنة؟

يوجد أناس يهاجمون الرهبنة ويقولون ما هى فائدة الرهبنة؟

يحكى لنا تاريخ الكنيسة أنه عندما اشتدت الحرب على القديس أثناسيوس فى الأسكندرية اضطر الأنبا انطونيوس أن ينزل من البرية، ليس لأجل أن يترك البرية ويعيش فى العالم، لكن لكى يشهد للإيمان الصحيح، فكان الناس يسألونه هل إيمان أثناسيوس هو الصحيح أم إيمان أريوس؟ كان أريوس يؤلف الترانيم الكنسية وكان الناس يعجبون بها ويحفظونها، وهذه الترانيم كانت تحوى عقيدته الخاطئة. فعندما رأى الناس الأنبا أنطونيوس بوجهه النورانى سألوه أى إيمان هو الصحيح؟ فكان يقول لهم إن إيمان أثناسيوس هو الصحيح.

هناك أناس يحتاجون لمن يسندهم لأنه ليست لديهم القدرة على الجدل العقائدى واللاهوتى. وهنا ينطبق على الأنبا أنطونيوس نفس المثل القائل أن [القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود]. كان الأنبا أنطونيوس فى زمانه مثل مظهر مجيء إيليا النبى فى وقت عصيب على الكنيسة.

لقد ساند القديس أنطونيوس البابا أثناسيوس فى الأسكندرية، لأن الناس كانت تصدِّق كلام الأنبا أنطونيوس فتتبع البابا أثناسيوس.

إن تاريخ الأريوسية يسجل أن سبعمائة شماسة مكرسة تبعوا تعاليم أريوس، وسبعة من القسوس وأسقفين وحوالى اثنى عشر شماساً. إن مؤشر سبعمائة شماسة مكرسة يدل على تأثر المرأة العاطفى بشخصية أريوس، لأن شخصيته كانت ساحرة وكان يعمل أموراً خلابة. فقد ذكر شاف Schaff المؤرخ الكاثوليكى وهو من أكبر المؤرخين فى تاريخ المسيحية، أن شخصية أريوس كانت جذابة، وأنه كان وسيماً، وكان بليغاً فى خطابه، وكان شاعراً أيضاً لأنه عمل ترانيماً كثيرة جداً. وأعتقد أنه كان موسيقاراً أيضاً

لأن الترانيم تحتاج إلى موسيقى. فكان موهوباً بصورة غير عادية.

كان القديس أثناسيوس لاهوتياً ودارساً للكتاب المقدس، لكن ربما لم تكن عنده كل هذه المواهب والفن الذى كان عند أريوس. لذلك كان يحتاج إلى مساندة القديس الأنبا أنطونيوس.

علاوة على ذلك، فإنه من المعروف أن **القديس أثناسيوس عاش ثلاث سنوات يغسل أيدى أنبا أنطونيوس فى البرية. أى أن الرهبنة كانت لها تأثيرها فى حياته** وجعلته لا يتضايق عند نفيه عن كرسيه. فقد قضى القديس أثناسيوس خمسة وأربعين سنة على الكرسى المرقسى منها تسعة عشر سنة فى الإسكندرية، وستة وعشرون سنة قضاها فى المنفى، إذ حُكم عليه بالنفى خمس مرات. لكن الله لم يسمح أن تكتسح الأريوسية الإسكندرية فى أيام أريوس.

كان البابا ألكندروس قد جمع مجمعاً من مائة أسقف تم فيه حرم أريوس، فرحل عن الإسكندرية. لكن لم ينته الأمر

برحيله ولا بحرمه لأنه كان له أتباع ينشرون أفكاره، فاستمر الصراع مع الأريوسية مدة طويلة.

وعمل أريوس نفسه نشاطاً كبيراً جداً فى نيقومدية وقيصرية وفى كبادوكية. فكان ذلك يتسبب فى صدور أحكام بالنفى من وقت لآخر ضد القديس أثناسيوس. إلى أن تم حسم الأمور وانتصرت الأرثوذكسية بصورة حاسمة فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، بعد نياحة البابا أثناسيوس، عندما تأكد قانون الإيمان النيقاوى وتم استكماله بالجزء الخاص بالروح القدس.

ما يهمنا هو أن القديس أثناسيوس قضى ثلاث سنوات فى البرية.

بولس الرسول وثلاث سنوات فى البرية

بولس الرسول بعدما آمن بالمسيحية وهرب من دمشق لأنهم كانوا يريدون قتله، قضى ثلاث سنوات فى صحراء العربية، وقال "لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً" (اكو١١: ٢٣).

متى تسلّم بولس الرسول من الرب؟ الرد هو أنه **تسلم من الرب فى الصحراء فى حياة الرهبنة**. لذلك يقول معلمنا بولس الرسول "**حَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً**" (١كو٧: ١)، لأن بولس الرسول بدأ حياته بثلاث سنوات فى الرهبنة قبل أن يبدأ رسوليته.

ويقول معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى أهل غلاطية: "فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا. وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ. أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً. وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ **انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ** لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَلَكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ" (غل١: ١٣-١٩).

حكى بولس الرسول أن والى الحارث أراد أن يقتله فتدلى من طاقة فى زنبيل من أسوار دمشق وهرب، فذهب إلى البرية ومكث فى صحراء العربية ثلاث سنوات ثم عاد إلى دمشق حيث هدأت الظروف، ففكر فى الذهاب إلى أورشليم لكى يلتقى ببطرس ويعقوب أخو الرب. (انظر ٢كو ١١: ٣٢، ٣٣).

بولس الرسول يتسلم من الرب نفسه فى البرية

عندما قال معلمنا بولس الرسول "تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً" (اكو ١١: ٢٣) فهو فى الحقيقة افتخر بشئ ثم عاد وعمل توازناً.

هو افتخر فى قوله "لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً".. ويقول فى بداية الرسالة "بُولُسُ رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غل ١:١). أى أنه يفتخر أن رسوليته كانت من السيد المسيح لأنه ظهر له فى الطريق ودعاه، فلم تكن دعوته واختياره من الناس ولا حتى بإرشاد من الروح القدس. هو

يريد أن يؤكد أنه أخذ رسوليته من السيد المسيح، مثلما صلى السيد المسيح طوال الليل ودعى اثنى عشر وسماهم رسلاً. فى هذه الحالة لا ينظر إليه أحد على أنه من خلفاء الرسل لأن السيد المسيح شخصياً هو الذى أعطاه الرسولية.

لكن معلمنا بولس الرسول فى نفس الوقت بتواضع قال "ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ ... بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ بِالاِنْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَوْ قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً".

نرى هنا التوازن، فبالرغم من أن إرساليته كانت بدعوة من السيد المسيح الذى قال لحنانيا "هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي" (اع ٩: ١٥)، وأنه استلم فى العربية أموراً كثيرة من السيد المسيح مباشرةً، إلا أنه فى نفس الوقت، ولئلا يأخذ أحد هذا المنهج ويقول أنا

رسول يسوع المسيح، قال "لكن بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل..".

يجب أن يكون هناك تقنين... من ذلك أن الرسل وهم فى أنطاكيا "وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ .. فَهَذَانِ إِذْ أُرْسِلاَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (اع ١٣: ٢،٤). بمعنى أن الكنيسة تدخلت فى أمر خدمته، وأيضاً عبارة "بموجب إعلان" تدل على أن الله جعله يعرض الإنجيل الذى ينادى به لئلا يكون سعى أو يسعى باطلاً.. لكن هو نفسه قال "بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ".

يتضح هنا أن بطرس الرسول لم يأخذ وضع أنه خليفة للرسل، بل إن الرسل الاثنى عشر ممثلين فى هؤلاء

الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا أخذوا يمين الشركة للختان، بينما بولس وبرنابا أخذا يمين الشركة للأمم. فأصبحت هناك قيادتين موجودتين فى الكنيسة لأن السيد المسيح قال "وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ" (يو١٠: ١٦). والسيد المسيح نفسه ظهر لبولس وقال له إنهم لا يقبلون شهادتك فى أورشليم، وقال له أنه يريد أن يرسله إلى الأمم بعيداً، إلى روما وغيرها.

الهدف من كلامنا هو أن نبرز أن الثلاث سنين التى قضاها بولس الرسول فى العربية كان بها معه عمل إلهى جبار. لأنه قال "لم أستشر لحماً ودماً" "وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ **انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ**" (انظر غل١).

دور الصحراء والبرية فى المسيحية

إن ما عمله الرب مع بولس الرسول فى البرية هو نفسه ما عمله مع بطرس وباقى الاثنى عشر فى مدة وجوده معهم

فى خدمته على الأرض، بما فى ذلك ليلة العشاء الربانى.
أى أن السيد المسيح فى السماء وبولس على الأرض، وفى البرية استطاع أن يتسلّم ما تسلمه الآباء الرسل فى فترة وجود السيد المسيح على الأرض. لدرجة أن يصير أحد أقطاب المسيحية الكبار جداً مثله فى ذلك مثل الاثنى عشر تماماً. حتى أنه فى وقت من الأوقات بدأ يصحح أموراً لبطرس نفسه.

وبطرس الرسول نفسه شهد لرسائل بولس الرسول وقال إنها مثل الأسفار المقدسة وأن الذى يحرّف فيها أى شئ يهلك.

بل يقول معلمنا بولس الرسول "وَلَكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُوَاجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! **لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ**

يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيّاً لاَ يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟" (غل٢: ١١-١٤).

ولم يغضب بطرس الرسول من هذا التوبيخ، فهذا ليس تقليلاً من شأنه، لأنه قدّم لنا خدمة كبيرة جداً عندما قال عن الأمور المختصة بالخلاص "لِذَلِكَ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هَذِهِ، اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ فِي سَلاَمٍ وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصاً، **كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضاً**، مُتَكَلِّماً فِيهَا عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ" (٢بط٣: ١٤-١٦).

هنا شهد معلمنا بطرس الرسول لكل الرسائل التى كتبها بولس الرسول.. وحذّر من تحريفها أو إساءة فهمها..

لقد قدّم لنا بطرس الرسول فى نصيحته أمرين فى غاية من الروعة والجمال، الأول هو أن كتابات بولس الرسول كلها موحى بها من الله، والثانى هو نصيحة ألا يحرف أحد الكلام إن كان به أشياء عسرة الفهم.

كان بطرس الرسول يرى أن بولس شرح أشياء كثيرة جداً وبها أشياء فصيحة جداً، فلا يليق أن يفسرها أحد بهواه الخاص لئلا يقلب الإيمان.

لا تظنوا أن بطرس الرسول عندما قال هذه العبارة كان ينتقد بولس لأنه قال "كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً **بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ**" ويقول "**يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ** أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ".

أى أنه يعتبر كتب بولس أنها كباقى الأسفار ومن يحرفها يجلب على نفسه هلاكاً.

إنه أمر فى منتهى الروعة، حقيقةً، أن نرى أن الرسل خاصة بطرس، الذى ذكر فى الأناجيل كأول اسم من الاثنى عشر، يقبلون أن بولس الذى جاء أخيراً والذى كان يضطهد الكنيسة، يقف ويوبخ بطرس مواجهة لأنه كان ملوماً، ويكتب بولس ذلك فى رسالته إلى أهل غلاطية، ثم يقول بطرس الرسول أنه كتب "بحسب الحكمة المعطاه له"!!!

هذه هى الكنيسة، التى لا يفكر فيها أحد فى نفسه، لكن الكل يفكر فى مقاصد الله لخلاص الناس وفى العقيدة السليمة التى تسمو فوق الجميع.

الرهبنة

الرهبنة أخرجت لنا يوحنا المعمدان، وأيضاً بولس الرسول أعظم كارز فى المسيحية من صحراء العربية. وأيضاً الرهبنة أخرجت لنا شخصية عجيبة هى شخصية إيليا النبى الذى سبق الحديث عنه، وكما ذكرنا أنه سوف يأتى فى أوقات عصيبة جداً وسيكون له دور كبير جداً فى نهاية العالم، وفى حماية الإيمان، لأن السيد المسيح قال "أَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً" (مت ٢٤: ٢٤).

هل بدأت الرهبنة بالقديس أنطونيوس

الرهبنة لم تبدأ فى القرن الرابع بالقديس الأنبا أنطونيوس كما يشيع البعض. الرهبنة بدأت مع بداية الكنيسة فى العهد الجديد، بل لها جذورها فى العهد القديم كما سبق أن أوضحنا، وسوف تستمر هذه الجذور فاعلة ومؤثرة إلى مجيء الرب فى هذا العالم.

ما فائدة الرهبان

ربما يقول البعض لا مانع من أن نمدح البتولية كما مدحها القديس بولس الرسول، لكن ما معنى الاعتزال فى البرية؟ وما فائدة الناس الذين يصلّون فى الأديرة ولا يعملون شيئاً؟ والأمثلة التى سبق شرحها هى لأناس اعتزلوا فترة لكن جاء وقت ونزلوا للخدمة وظهروا للناس، مثل يوحنا المعمدان والقديس بولس الرسول وحتى القديس الأنبا أنطونيوس نفسه، هؤلاء اعتزلوا فترة لكنهم بعد ذلك نزلوا

وقاموا برسالة معينة. لكن ما فائدة الرهبان الذين يعيشون دائماً فى العزلة؟

كل هذه اعتراضات تقدّم ضد حياة الرهبنة..

للرد لدينا قصة القديسة دميانة كمثال:

تركت القديسة دميانة العالم وعاشت فى حياة الرهبنة، ولم تكن تفكر فى يوم من الأيام أنها سوف تعود لتوبِّخ والدها بل تحثه على الاستشهاد. كانت قد تركته وعاشت فى برية الزعفران مع العذارى فى حياة روحية جميلة كلها صلاة وتسبيح.. ولم تكن تفكر مطلقاً أنها سوف تكون شهيدة أو أنها سوف تقود والدها إلى الاستشهاد. لكن حينما يريد الله شيئاً فإنه يحرك الأحداث لأنه هو محركها. هى لم أبداً تتخيل أن والدها من الممكن أن يأتى اليوم الذى يبخر فيه للأصنام. ومع ذلك فإن كل ما عملته هو أنها ذهبت فى زيارة خاطفة إلى والدها ثم عادت، ولم يكن هذا مخططاً فى برنامج حياتها. ونتج عن هذه الزيارة تحول رهيب جداً فى تاريخ شمال مصر كلها.. إذ أن والدها كان والياً على

البرلس وكان يحكم مساحات كبيرة جداً فى الدلتا وأضيفت الفرما (بورسعيد) إلى سلطته عندما بخر للأوثان. لكنه بعد زيارة ابنته دميانة ضحى بكل ذلك وصار شهيداً.

عندما يكون الوالى غير مسيحى، أو يصير غير مسيحى بعد أن كان فى الأصل مسيحياً، هذا يسبب انحداراً شديداً جداً للحياة المسيحية، لأن غير الأقوياء فى الإيمان من الممكن أن يتأثروا، كما يقول المثل [أن الناس على دين ملوكهم].

فى نفس الوقت بعدما عادت القديسة دميانة إلى الدير فوجئت بقدوم جيوش تأمرها بعبادة الأصنام، فرفضت، وقالت للعذارى من تريد أن تهرب فلتهرب. فرفضن وصرن كلهن شهيدات معها.

لم تكن فى خطتها أبداً أن تنزل إلى العالم أو أن تقوم بأى خدمة، لكن حينما أراد الله أن يستخدمها فى يوم معين أو فى مرحلة معينة استخداماً سريعاً خضعت.

وكذلك نزل الأنبا أنطونيوس إلى الأسكندرية فى زيارة عابرة ثم عاد إلى البرية فكان عبارة عن إشراقة سريعة أنارت عقول الناس.

السؤال هنا هو: هل إذا كانت القديسة دميانة لم تفكر فى الرهبنة ولم تعش فى الدير كان سيكون لها نفس القوة التأثيرية على والدها كما حدث؟!

لا أعتقد ذلك... لأنها قبل أن تذهب إليه رفعت صلوات حارة ومعها الأربعين عذراء، والصلوات مع الأصوام تستطيع أن تنقل الجبال.

أمثلة لأهمية وضرورة الصلاة

بولس الرسول

يقول القديس بولس الرسول "وَأَنْتُمْ أَيْضاً **مُسَاعِدُونَ بِالصَّلاَةِ لأَجْلِنَا**، لِكَيْ يُؤَدَّى شُكْرٌ لأَجْلِنَا مِنْ أَشْخَاصٍ كَثِيرِينَ، عَلَى مَا وُهِبَ لَنَا بِوَاسِطَةِ كَثِيرِينَ" (٢كو١: ١١).

لماذا يريد بولس الرسول أو تؤدى صلوات من أشخاص كثيرين مع أنه أعظم كارز فى المسيحية؟!!

وقال أيضاً "**مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ،** وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ وَلأَجْلِي، **لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي،** لأُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الإِنْجِيلِ" (أف٦: ١٨، ١٩).

كان بولس الرسول دائماً يشعر بالاحتياج إلى صلوات الناس، وينبه دائماً إلى أهمية أن يكون هناك دائماً من يصلون من أجل من يخدم.

ومعلمنا بولس الرسول نفسه فى خدمته، لم يطلب فقط من المخدومين الصلاة من أجله، لكنه يقول لهم "لاَ أَزَالُ شَاكِراً لأَجْلِكُمْ، **ذَاكِراً إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي،** كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ" (أف١: ١٦–١٨).

وأيضاً يقول "لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لاَ تَكِلُّوا فِي شَدَائِدِي لأَجْلِكُمُ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ. بِسَبَبِ هَذَا **أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،** الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ

وَعَلَى الأَرْضِ لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ" (أف ٣: ١٣-١٩).

يقول بولس الرسول "أحنى ركبتى" أى أصلى لأجلكم، وفى كثير من رسائله يقول أنه يصلى لهم. هل لم تكن كرازته كافية، والإعلانات، والوعظ، والمعجزات...؟!

يقول لأهل فيلبى "**أَشْكُرُ إِلَهِي عِنْدَ كُلِّ ذِكْرِي إِيَّاكُمْ. دَائِماً فِي كُلِّ أَدْعِيَتِي، مُقَدِّماً الطِّلْبَةَ لأَجْلِ جَمِيعِكُمْ** بِفَرَحٍ" (فى١: ٣، ٤).

توجد أدلة على أن بولس الرسول كان يهتم جداً بالصلاة، سواء صلاته للمخدومين، أو صلواتهم هم من أجله.

موسى النبى

حدث فى الحرب مع عماليق أن موسى النبى ترك يشوع ليقود الحرب، لكنه وقف هو يصلى على الجبل، فكان

عندما يخفض يديه ينغلب إسرائيل وينتصر عماليق، وعندما يرفع يديه كان جيش إسرائيل هو الذى ينتصر. فلما ثقلت يداه سندها هارون وحور الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين هكذا حتى الغروب، أى أنه ظل مستمراً فى وضع الصلاة إلى أن انتصر الشعب (انظر خروج ١٧).

هذه القصة هى مثال يوضح لنا كيف أنه من الممكن أن تكون هناك جماعة تحارب وجماعة أخرى تصلى. وليس من الضرورى أن ينزل الكل إلى ساحة المعركة.

داود النبى

أمر داود النبى أن الذين مكثوا لحراسة الأمتعة يأخذون أنصبة من الغنائم مثل الذين نزلوا إلى المعركة، (انظر ١صم٣٠: ٢٤). لأنه يتم توزيع الاختصاصات، لا يقدر الجميع أن يفعلوا كل شيء.

السيدة العذراء

الكهنوت فى الكنيسة هو من عمل الرجال، وأيضاً التعليم

من عمل الرجال، وهذا ورد بنصوص صريحة وواضحة فى الكتاب المقدس.

السيدة العذراء لم تأخذ درجة كهنوتية ولا وعظت فى يوم الخمسين، لكن وجودها فى الكنيسة كان بركة، فكان الآباء الرسل يلجأون إليها لكى تصلى من أجلهم. وقصتها مع متياس الرسول معروفة حتى أننا نحتفل بهذا اليوم إلى يومنا هذا ونسميه عيد العذراء حالة الحديد..

هل يقدر أحد أن يقلل من أهمية رسالة السيدة العذراء بعد يوم الخمسين؟

السيدة العذراء لها الفضل الكبير فى قبول الحبل المقدس، والنزول إلى مصر، وفى رعاية الطفل يسوع، وفى الاهتمام به من كل ناحية إلى أن بدأ خدمته الكرازية والخلاصية، وفى وقوفها بجانبه عند الصليب، إلا أنه كان لها دور بعد الخمسين هو الصلاة اختبرته الكنيسة.

وفى وقوف السيدة العذراء بجانب الصليب لم تعمل شيئاً إلا الصلاة.. لا تقدر أن تترافع أمام بيلاطس البنطى مثلاً، ولا أن تبطش بالحراس لأنها إنسانة وديعة لا تعرف

المشاجرة مع أحد. لكنها قالت: {أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص أما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى وإلهى}.

حياة الرهبنة ليست حياة سلبية

يدّعى البعض أن حياة الرهبنة تعتبر حياة سلبية. وأنها مجرد هروب من العالم من أجل الهروب من حروب الشياطين والعثرات الموجودة فى العالم. فالراهب يعتبر إنسان سلبى لأن ليس له فائدة ولا دور فى الكنيسة. للأسف هذا الكلام انتشر اليوم وتمت طباعته فى كتب وإذاعته على القنوات الفضائية.

لذلك، نريد أنه كما ناقشنا الجذور والدوافع والأساسات الروحية للرهبنة فى المسيحية، بما فى ذلك ما قاله معلمنا بولس الرسول عن البتولية مثل "غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَداً وَرُوحاً. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا" (١كو٧ : ٣٤)، أن نرد على ادعاء البعض من أنه حيث أن الرهبنة بها جانب هو

الهروب من العالم فإن هذا هو نوع من السلبية. الراهب أو الراهبة لا يفيدون الكنيسة فى شئ ولو كانوا استمروا فى العالم لخدموا الله بصورة أفضل.

والمقصود هو الراهب أو الراهبة الذين يمكثون فى دير أو فى مغارة فى الجبل فى الصحراء، ولم ينزلوا مثل الأنبا أنطونيوس أو بولس الرسول أو الذين يسامون فى الأسقفية مثلاً إلخ. فبعض الرهبان عاشوا فى مغاير ولم ينزلوا إلى العالم ثانية. وأيضاً أغلب الراهبات يمكثن فى الأديرة. عن هؤلاء نريد أن نتكلم لأن هذه هى الفئة التى تتهم بالسلبية.

سوف نتحدث عن الرهبنة التى نقرأ عنها فى كتاب "بستان الرهبان"، الرهبنة التى فيها حياة الصلاة والعبادة، والسعى فى طريق الكمال المسيحى، بدون أى تفكير فى الرجوع إلى العالم مثلما عملت القديسة دميانة عند نزولها لتعاتب والدها، لأن هذه حالة خاصة جداً...

وقد شرحنا أن القديسة دميانة نفسها لم تكن تعلم أنها سوف تذهب لوالدها، لكنها لما شعرت بأن هناك ما يستدعى أو يستلزم أن تعمل ذلك عملته. لكنها عندما أتت لتعيش فى

برية الزعفران لم تكن تظن أنها فى يوم من الأيام سوف تذهب إلى والدها وتقول له أنها كانت تفضل أن يأتيها خبر موته عن أن تسمع أنه بخر للأوثان. لقد استخدمها الله، وما يشاء الله نفعل..

هل الرهبنة سلبية؟

إن تنفيذ الوصية فى حياة الإنسان شئ يسعد قلب الله.
وردت القصة التالية فى كتاب بستان الرهبان وهى تبين كم يفرح الله بتنفيذ وصيته:
قيل عن شيخ أنه كان كثير الرحمة، فحدث جوع عظيم، ولكنه لم يتحول عن فعل الرحمة حتى فقد ما له، ولم يبق عنده سوى ثلاث خبزات، فعندما أراد أن يأكل أحب الله أن يمتحنه، وذلك بأن قرع سائل على بابه، فقال لنفسه جيد لى أن أكون جائعاً، ولا أرد أخ المسيح خائباً فى هذا الغلاء، فأخرج له خبزتين، وأبقى واحدة لنفسه وقام يصلى ثم جلس ليأكل، وإذ سائل آخر يقرع الباب، فضايقته الأفكار من أجل الجوع الذى كان يكابده داخله، ولكنه قفز بشهامة

وأخذ الخبزة وأعطاها للسائل قائلاً: أنا أؤمن بالمسيح ربى أنى إذا أطعمت عبده فى مثل هذا الوقت الصعب، فإنه يطعمنى هو من خيراته التى لم ترها عين التى أعدها لصانعى إرادته... فجاءه صوت من السماء قائلاً له: **لأجل أنك أكملت وصيتى وغفلت عن نفسك وأطعمت أخاك الجوعان، لا يكون فى أيامك غلاء على الأرض كلها..** ومن ذلك اليوم عم الرخاء الأرض كلها. (انظر بستان الرهبان صفحة ٤٤٨).

وانتهت المجاعة بسبب أن راهباً نفّذ وصية الله، وهو فى مكانه فى مغارته فى الجبل، دون أن ينزل إلى العالم، أو يعمل فى مستشفى أو فى ملجأ أو غيرها.. كان يصلى فى مغارته، لكن تصادف أن استدعت الحاجة أن يعطى فأعطى.

تنفيذ الوصية ممكن أن يكون فى أشياء كثيرة.

تنفيذ الوصية فى حياة النقاوة..

تنفيذ الوصية فى حياة الصلاة..

تنفيذ الوصية فى حياة الكمال الروحى.

قال السيد المسيح "الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي والَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي... إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو ١٤: ٢١، ٢٣).

الرهبنة هى السعى فى طريق كمال تنفيذ الوصية، وهى سعى فى طريق العشرة العميقة مع الله. هل يعقل أن من يريد أن يتمتع بالله إلى أقصى درجة، يكون هذا نتيجة أنه لا يريد أن يمارس المحبة؟!! إطلاقاً... بل حينما تأتى فرصة لاختبار محبته، يتضح أنه قادر أن يحب أكثر من الناس الذين يعيشون فى العالم.

هل ينظر الله إلى شكلية الموقف أم إلى جوهر القلب من الداخل؟!!

هناك من يخدمون الفقراء لكنهم يخدمون وليست لهم قدرة على بذل النفس. بينما أعجب السيد المسيح بموقف المرأة التى أعطت الفلسين وقال "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقَوْا فِي الْخِزَانَةِ. لأَنَّ

الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا. وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا كُلَّ مَعِيشَتِهَا" (مر١٢: ٤٣، ٤٤).

هناك أناس يؤدون خدمات كثيرة جداً لكن ليس عندهم استعداد لتنفيذ الوصية فى كمالها. أما الإنسان الذى يعيش فى حياة الرهبنة فهو يسعى إلى الكمال.. أى كمال تنفيذ الوصية.

الذين يهاجمون الرهبنة يقولون إن الراهب مادام قد وصل إلى حالة روحية جيدة، فما المانع من نزوله إلى العالم لكى ينفّذ الوصايا التى جهّز نفسه لتنفيذها؟

للرد نقول: هل الوصية هى فقط العطاء للفقراء؟ يقول الكتاب أن من "نَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ" (١يو٣: ١٧). من الممكن أن ينزل راهب أو راهبة فى مأمورية من الدير فيتقابل بطريق الصدفة مع أحد فى ضائقة مادية شديدة، فيعطيه ما معه من المال، المهم هو استعداد القلب من الداخل.

وهل تنفيذ الوصية هو فى العطاء للفقراء فقط؟

هناك راهبات يعملون أعمالاً يدوية، ونحن نعطى من عائد عملهن للفقراء. على سبيل المثال كثير من إيرادات الأعمال اليدوية للراهبات فى دير القديسة دميانة نعطيه للفقراء، دون أن تختلط الراهبات بالناس. فمن الممكن أن راهبة تتعب فى عملها وتفرح بذلك لأنها تعلم أن الإيراد سوف يكون لفتاة محتاجة تريد الزواج أو مريض يحتاج إلى علاج.

عندما عمل السيد المسيح معجزة الخمس خبزات والسمكتين بارك وأعطى للرسل والرسل أعطوا الجموع، لم يوزع السيد المسيح للناس شيئاً بيده.. لم ينزل إلى الشعب، بل أعطى الرسل والرسل أعطوا للناس.

العمل هو من الأركان الأساسية فى الرهبنة كما وضعها لنا الآباء الأولون فى الطريق الرسمى للرهبنة.. **الثلاثة أركان الأساسية فى حياة الراهب هى الصلاة والقراءة والعمل.**

هل تنفيذ الوصية هو فى أن يخدم الإنسان فى مدارس الأحد فقط؟!

هناك تنفيذ وصية الإتضاع مثلاً...

من الممكن أن يكون هناك خادم مشهور ويتكلم الجميع عنه وليس لديه إتضاع. عن مثل هؤلاء يقول السيد المسيح "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!" (مت٦: ٢). لأنهم أخذوا مديح من الناس على خدمتهم فيكونوا قد استوفوا أجرهم.

أما الراهب فمن الممكن أن يعمل الفضائل فى الخفاء، ويفرح بالمحقرة، ويعيش حياة الطاعة، لأن منهج الطاعة هو أحد أركان الحياة الرهبانية، والذى يعيش الطاعة يتمثل بالسيد المسيح، ويحارب الشياطين.

أحياناً نتعب كثيراً فى الخدمة مع بعض الأشخاص دون جدوى، فنصلى إلى الله ونقول هذه الحالة تعبنا معها كثيراً وعملنا كل ما بوسعنا وليس لها إلا أن تعمل أنت معها، فسنتركها لك ولعملك أنت، لأن الحالة يتضح منها أن عملنا نحن لن يأتى بأية نتيجة.. هذه الحالة تحتاج إلى صلاة.

هذا الأمر يتكرر كثيراً معنا فى الخدمة، ثم بعد أن نسلّم الأمر لله فى الصلاة نرى عمل الله واضحاً إذ يغير الحال إلى أكثر مما كنا نأمل.

قد يتعب الخادم سنوات طويلة بلا ثمر أو بلا تقدم. الخدمة ليست فقط أن الخادم يفتقد أو يعظ أو يخدم الشخص خدمة مباشرة، فعمل الله من الممكن أن يكون شئ فى الخفاء.. مثل صلوات تقدّم من أجل المخدومين.

الرهبنة هى سر قوة الكنيسة

إن سر قوة الكنيسة القبطية برغم كل الضغوط التى وقعت عليها على مر العصور هو حياة الرهبنة. لأن هناك من يصلون، فيجد الله مكاناً يرتاح فيه.

يقول المزمور "لاَ أُعْطِي نوَماً لِعَيْنَيَّ وَلاَ نَعاساً لأَجْفَانِي. إلى أنْ أَجِدَ مَوضعاً لِلرَّبِّ ومَسْكَناً لِإلهِ يَعْقُوبَ" (مز١٣٢: ٤، ٥). يريد الله قلباً ليستريح فيه.

الرهبنة ليست سلبية، بل بالعكس. نحن نحزن على الوقت الذى يضيع فى الخدمة ولا يأتى بنتيجة. أو على الخدام

الذين يتعبون أنفسهم أزيد من اللازم بأنشطة لا تثمر شيئاً لملكوت الله: خدمات إجتماعية، وحفلات، ورحلات... أين هى ثمار الملكوت الحقيقية؟

تجد أناساً تائهون وسرقتهم السكينة، ومن الفشل يتهمون الرهبنة بالسلبية!

فى قصة مرثا ومريم اختارت مريم النصيب الصالح الذى لا ينزع منها، بينما مرثا كانت تهتم بأمور كثيرة. أنا لا أتفق مع من يقول أن مرثا تمثل الخدمة ومريم تمثل الرهبنة، لأن خدمة مرثا لم تكن خدمة كرازة أو تعليم، بل خدمة فى المطبخ. فلا يصح أن نقول عن المبشرين مثل بولس الرسول وآباء الكنيسة أنهم مرثا.

قال السيد المسيح لمرثا "أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ" (لو١٠: ٤١،٤٢). الحاجة إلى واحد أى إلى صنف واحد من الطعام، أو قليل من الأصناف، لكى تقدر أن تنتهى من عمل المطبخ سريعاً وتأتى لتسمع كلام الرب. بمعنى أنه لا يريد أن يكون انشغالها بالخدمة الجسدية فقط بل بالغذاء الروحى أيضاً.

أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح الذى لا ينزع منها، وهو سماع كلام الله.

هناك لمحة فى هذه القصة إلى أن من جلست تحت قدمى السيد المسيح تتعلم هى التى وجدت المتعة الحقيقية.

الخدمة التى تعتبر مثل خدمة مرثا هى الخدمة الخالية من البعد الروحى، مثل الحفلات والرحلات والنادى بلا صلاة أو درس كتاب.. هى الخدمة التى تخدم الحياة الحاضرة لكن لا تفكر فى البعد التعليمى والبعد الروحى.

على أى الأحوال الكنيسة فيها أنواع من العطاء، لذلك قال بولس الرسول "إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ: لأَنِّي لَسْتُ يَداً لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ. أَفَلَمْ تَكُنْ لِذَلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟. وَإِنْ قَالَتِ الأُذُنُ: لأَنِّي لَسْتُ عَيْناً لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ. أَفَلَمْ تَكُنْ لِذَلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟... لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ. أَوِ الرَّأْسُ أَيْضاً لِلرِّجْلَيْنِ: لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا" (اكو١٢: ١٥-٢١). فكل واحد له موهبته من الله "أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ. أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ" (رو١٢: ٧، ٨).

إن من يريد أن يعيش حياة روحية مع الله، ويدخل فى عشرة قوية معه، عليه أن يعيش حياة التسبيح، والرهبان فى الأديرة يصلون تسبحة نصف الليل يومياً. وهذه التسبحة لا يصح أن تكون تأدية واجب بل يجب أن تكون منهج حياة كمقدمة للتسبيح فى السماء.

الأربعة وعشرون قسيساً والأربعة أحياء حاملى العرش

هناك ملائكة يرسلهم الله لمعونة البشر، أما الأربعة وعشرون قسيساً الجالسين حول العرش، فلا يمكن أن يفارقوا المشهد. أقصى ما عمله أحدهم هو أنه عندما وجد يوحنا باباً مفتوحاً فى السماء، تكلم معه واحد من الأربعة والعشرين. لكن هل سمع أحد أن واحداً من الأربعة والعشرين قسيساً جاء هنا على الأرض؟

هم يرفعون بخوراً هو صلوات القديسين، هذه هى الرهبنة. فهل هذه سلبية؟!!

هناك طغمات ملائكية كثيرة تخدم البشر، وقيل عنهم "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ" (عب١: ١٤). إن ألوف ألوف وربوات ربوات من الملائكة مستعدين أن يأتوا لكى يساعدوا البشر. ويقول المزمور إن "مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّيهِمْ" (مز٣٤: ٧). ويقول الكتاب "فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ" (إش٦٣: ٩).

لكن هل يقدر أحد أن يتجاسر ويقول أنه على الأربعة والعشرين قسيساً أن يتركوا خدمتهم حول العرش من تسبيح ورفع بخور صلوات القديسين، لكى ينزلوا ويتكلموا مع أحد فى الجليل أو فى طبرية. من يقدر أن يقول هذا الكلام؟!!

كذلك الأربعة أحياء غير المتجسدين حاملى العرش الإلهى، الذين لهم الأربعة رموز الخاصة بالتجسد والصلب والقيامة والصعود، الذين يرمزون إلى أن حلول الله فى النفس وملكه عليها كان يجب أن يحدث فى: شبه الإنسان (التجسد)، شبه العجل (الصليب)، شبه الأسد (القيامة)، شبه

النسر (الصعود). بهذا اشترانا السيد المسيح وملك على حياتنا.

فهل يترك الأربعة أحياء غير المتجسدين العرش للخدمة فى مدارس الأحد؟!! هل فى قيامهم بوظيفتهم تعتبر هذه سلبية؟ بالطبع لا.. لأن هؤلاء هم الذين يحملون العرش الإلهى.

يحتج البعض بقولهم إن الأربعة والعشرين قسيساً هم أنبياء العهد القديم والاثنى عشر رسولاً. هذا غير صحيح... لأنه ليس هناك من دخل إلى ما داخل الحجاب كسابق لنا سوى السيد المسيح فقط (انظر عب ٦: ١٩-٢٠)، بنصوص صريحة وواضحة فى الكتاب المقدس... لا يوجد أحد دخل إلى قدس الأقداس، أو قدام العرش. فقط فى وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح.

وإذا دخل آخر إلى هناك، فهل يستطيع آخر أن يكفّر عن خطايا البشر سوى السيد المسيح؟ لا.. لا يوجد سوى

وسيط واحد بين الله والناس هو يسوع المسيح. ومن يقول غير ذلك فإنه يتناقض نفسه.

يقول القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين "حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَيِ التَّغَيُّرِ، لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، **حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا**، صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ" (عب٦: ١٨-٢٠).

ويقول أيضاً "وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، **دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً**" (عب٩: ١٢).

وقال السيد المسيح "أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يو١٤: ٢، ٣). هذا الكلام قاله للرسل.

كيف يدخل أحد إلى الملكوت الآن؟!! أين يوم الدينونة العظيم؟!! وما هو مجيئ المسيح الثانى؟!!

وإن كان الأربعة وعشرون قسيساً هم الاثنى عشر رسولاً بالذات فهل هم فقط الذين يدخلون الملكوت؟!! ألن يدخل بولس الرسول معهم؟!! ومن هم الأنبياء الاثنى عشر الذين يدخلون؟ هل هم الأنبياء الكبار؟ وهل الصغار لن يدخلوا الملكوت؟! أو أسباط إسرائيل الاثنى عشر! هل بذلك لا يكون إبراهيم هناك، ويكون رأوبين وشمعون ولاوى هناك؟!؟

إن الأربعة وعشرون قسيساً هم طغمة ملائكية، مخصصة لرفع بخور هو صلوات القديسين.

لذلك هناك ترنيمة للأنبا أنطونيوس يقولون له فيها:

أنبا أنطونيوس فيك أسرار

كل ما أفكر فيها أحتار

أنت سميت بشر وبقيت زى ملايكة السماء

وللا ملاك سبت سماك وبقيت بشر زينا

خلاصة الموضوع

إن الرهبان والراهبات هم بشر سمائيون أو ملائكة أرضيون.

إنهم صاعدون على سلم يعقوب يحيون حياة الصلاة والتسبيح.

كيف بدأت الرهبنة في المسيحية؟

الرهبنة هى أمر كان في قصد الله
من قبل تأسيس العالم.
فهناك بعض الأحداث في العهد القديم تشير
إلى أن الرهبنة سوف تكون في يوم من الأيام
هى المنهج لكثير من القديسين .
الرهبنة ظهرت بقوة مع بداية المسيحية،
وظهرت بصورة منظمة، وكان لها أثر كبير
فى تاريخ المسيحية، ولا زالت
لها تأثيرها حتى يومنا هذا .